دور الشريعة ومقاصدها في بناء الأخلاق

إعداد:
د. صلاح بابكر الحاج
جامعة الطائف

مستخلص البحث

تناول البحث حقيقة الشريعة ومقاصدها والعلاقة بينهما، وبين أهمية الأخلاق ومكانتها في الإسلام، وأن منها ما هو بمثابة القواعد والثواب والضروريات التي لا تقبل التعديل ولا تتغير بغير الأحوال والأزمان ومنها ما هو بمنزلة الحاجيات والتحسينات التي ترتقي بسلوك الإنسان وتمثل القيم والذوق الرفيع وتغرس بذور الخير وتضفي على المجتمع السعادة ، فتمثل شكلاً من أشكال الوعي الإنساني وتعد ركيزة أساسية في بناء الحضارة لما تثمره في الفرد والجماعة، وأن انعدام الأخلاق الفاضلة أو ضعفها في أي حضارة يعتبر من أعظم أسباب سقوطها وانهيارها . وبين البحث أنواع الأخلاق وأن منها ما هو فطري ومنها هو مكتسب ووضح كيفية اكتسابها والمحافظة عليها ، وبين علاقة الأخلاق بالإيمان والعبادات والمعاملات والجزاء والمسؤولية فيها والهدف والمقصد منها ، وبذلك يتضح دور الشرع ومقصده في بناء الأخلاق الفاضلة وغرسها لتحقيق مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة.

المقدمـة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الخاتم وعلى آله وصحبه الأطهار الأخيار وعلى من اتبعهم واقتفى أثرهم وبعد.

فإن التحلي بالأخلاق الفاضلة يعد ركيزة أساسية في بناء الأمم، وقد اعتنى الإسلام بها عناية فائقة وربطها بالإيمان والعبادات والمعاملات وجعل فيها الثواب والجزاء وأكد لزومها في شتى مناحي الحياة ، وذلك لأهميتها ومكانتها في الإسلام.

أهميـة البحـث :-

تتمثل أهمية الأخلاق ورعاية الشرع لها في بعض النقاط منها ما يلي :-

١. إن الأخلاق تمثل جزءاً من كينونة الإنسان وخصائصه المميزة له عن سائر المخلوقات الأخرى.
٢. تعد الأخلاق شكلاً من أشكال الوعي الإنساني لأنها ترتقي بالسلوك في التعامل مع الآخرين وتغرس بذور الخير.
٣. ارتباط الإسلام واهتمامه بالأخلاق، فالرسالة المحمدية من أهدافها ومقاصدها أنها جاءت متممة ومكملة لمكارم الأخلاق.
٤. تتمثل أهمية الأخلاق في ارتباطها بالإيمان والعبادات والمعاملات والجزاء والثواب.
٥. تعبر الأخلاق عن مجموعة القيم والمبادئ التي ترتقي إلى درجة أن تصبح مرجعية ثقافية للشعوب لتكون سنداً قانونياً تستقي منه الدول الأنظمة القانونية.

أهـداف البحـث :

يهدف البحث إلى تحقيق وبيان الآتي :-

١. بيان أهمية الأخلاق ومكانتها في الإسلام .

٢. بيان علاقة الأخلاق بقواعد وأركان الدين وصلتها وارتباطها به .
٣. كيفية اكتساب الأخلاق وحمايتها.
٤. بيان دور الشريعة ومقاصدها في بناء الأخلاق وغرسها في الأمم .
٥. المشاركة والمساهمة بقدر المستطاع في علاج الأزمة الأخلاقية التي نشهدها ونعيشها في هذا الزمن.

منهـج البحـث :-

اتبعت في البحث المنهج الوصفي والتزمت بالآتي :-

١. ذكر المسائل والأحكام المتعلقة بالأخلاق بقدر المستطاع وبقدر ما هو مفيد في البحث .
٢. بيان صلة الأخلاق بقواعد وأركان الدين وارتباطها بها .
٣. إبراز دور الشريعة ومقاصدها في بناء وترسيخ الأخلاق من خلال ربطها بالإيمان والعبادات والمعاملات وتوضيح ذلك بذكر بعض الأمثلة.
٤. تعريف المصطلحات العلمية التي تحتاج إلى تعريف .
٥. عزو الآيات إلى سورها وتخريج الأحاديث الواردة في البحث .
٦. ترك الترجمة للشخصيات الواردة في البحث .

خطـة البحــث :-

المقـدمة : وتشتمل على أهمية البحث وأهدافه ومنهجه وخطة البحث.

المبحث الأول: الشريعة ومقاصدها

- أولاً : حقيقة الشريعة
- ثانياً : حقيقة مقاصد الشريعة
- ثالثاً : علاقة الشريعة بالمقاصد

- رابعاً : مراتب مقاصد الشريعة

المبحث الثاني : الأخلاق

- أولاً : حقيقة الأخلاق
- ثانياً : أهمية الأخلاق ومكانتها
- ثالثاً : خصائص الأخلاق في الإسلام
- رابعاً : أنواع الأخلاق ومراحل تكوينها
- خامساً : وسائل ودوافع اكتساب الأخلاق
- سادساً : دلائل الأخلاق

المبحث الثالث : رعاية الشرع للأخلاق

- أولاً : الشريعة والأخلاق
- ثانياً : المقصد من ربط الأخلاق بالإيمان
- ثالثاً : المقصد من ربط الأخلاق بالعبادات
- رابعاً : المقصد من ربط الأخلاق بالمعاملات
- خامساً : المقصد من المسؤولية والجزاء في الأخلاق
- سادساً : حماية الأخلاق
- سابعاً : علاقة مقاصد الشريعة بالأخلاق

المبحث الأول

الشـريعة ومقاصـدها

نتحدث في هذا المبحث عن حقيقة الشريعة ومقاصدها ومراتب المقاصد ومن ثم يتضح ارتباط الشريعة ومقاصدها بالأخلاق في المباحث القادمة .

أولاً : حقيقة الشريعة

١.تعريف الشريعة في اللغة [١] :

استعمل أهل اللغة العربية لفظ الشريعة في عدة معان منها ما يلي :-

أ. مورد الماء الواضح ، يقال شرعت الإبل والدواب إذا وردت شرع الماء الواضح.

ب. الشرع والشارع هو الطريق العظيم في المدينة .

ج. الطريقة المستقيمة ، قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [٢] أي طريقة واضحة ومستقيمة.

٢. تعريف الشريعة في الاصطلاح : [٣]

عرفت الشريعة عند العلماء بأنها ما سنه الله وافترضه على عباده من العبادات والأخلاق والمعاملات .

وعرفت أيضاً بأنها مجموعة الأحكام التي سنها الله بواسطة الوحي المنزل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) لتكون وسيلة لإرشاد العباد إلى الحق في الاعتقاد وإلى الخير في سلوكهم ومعاملاتهم ، وباتّباع تلك الأحكام ينالون سعادة الدنيا والآخرة.

---

(١) مختار الصحاح للرازي ١٦٣/١ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ المكتبة العربية – لسان العرب لابن منظور ١٧٥/٨ – دار صادر بيروت

(٢) المائدة ٤٨

(٣) تاريخ التشريع والفقه الإسلامي د. أحمد العليا ٢٦١/١ دار اسبيليا ١٤٢٢هـ ، تاريخ الفقه الإسلامي – محمد علي السايس ، ص٥– مطبعة محمد علي صبيح مصر

٣. العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي :

تتضح العلاقة والمناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي من عدة وجوه :-

أ. إن أحكام الشريعة في ظهورها كشريعة الماء واضحة لا لبس فيها فهي مستقيمة محكمة واضحة لا اعوجاج فيها ولا تحيد عن مقاصدها .

ب. إن أحكام الشريعة كشريعة الماء في كونها دائمة لا تنقطع فالعرب لا تسمي مورد الماء شريعة حتى يكون عداً لا انقطاع له . وكذا أحكام الشريعة في صلاحيتها لكل زمان ومكان.

ج. إن أحكام الشريعة تهدي إلى فعل الخير وإقامة العدل وتنهي عن فعل الشر والظلم ، ففيها غذاء العقول وشفاء النفوس وفيها سلامة الأرواح ، كما أن الماء سبيل سلامة الأبدان والأرواح، قال الراغب الأصفهاني وغيره : (سميت الشريعة شريعة تشبيهاً بشريعة الماء من حيث أن من شرع فيها على الحقيقة الصدوقة روى وتطهر).[١]

ثانياً: حقيقة مقاصد الشريعة :

١.تعريف المقاصد في اللغة : [٢]

المقاصد جمع مقصد، والمقصد في اللغة له عدة معان منها الآتي :-

أ. الغاية والهدف : المقصد هو موضع القصد ، فيكون هو الهدف والغاية يقال قصدت الشيء : طلبته وتوجهت إليه ، فيكون هدفاً وغاية .

(١) خصائص الشريعة – تفسير لغوي ، رفاعي سرور ١٨ جمادي الأولى ١٤٢٩هـ - نقلاً عن المفردات للراغب – لسان العرب ١ /٢٠٣.

(٢)لسان العرب ٣/٣٥٥ ، معجم مقياس اللغة ٥/٩٥.

ب. استقامة الطريق : يقال قصد الطريق قصداً أي : استقام ،ومنه قول الرسول ﷺ: (عليكم هدياً قاصداً)(١)، أي عليكم طريقاً معتدلاً مستقيماً.

ج. الاعتدال والتوسط: ومن ذلك ما قصه الله تعالى من موعظة لقمان لابنه في قوله تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾(٢) أي اعتدل وتواضع في مشيك، ومنه قول الرسول ﷺ: (القصد القصد تبلغوا)(٣)، أي عليكم بالتوسط والاعتدال في القول والفعل لتبلغوا مرادكم.

٢.تعريف المقاصد في الاصطلاح :

عرفت مقاصد الشريعة بعدة تعريفات مختلفة ويرجع ذلك إلى اختلاف أنواعها ومن هذه التعريفات ما يلي: -

أ. عرفها ابن عاشور بقوله: (مقاصد الشريعة العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها)(٤). دل التعريف على أن مقاصد الشريعة العامة هي الأهداف والغايات التي يسعى الشارع لتحقيقها من خلال نصوصه وأحكامه، وهذه الغايات والأهداف تحقق مصلحة الإنسان سواء كان ذلك من خلال العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك.

ب. عرفها علال الفاسي بأنها (الغاية من الشريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها).(٥)

---

(١)سنن البيهقي ١٨/٣ حديث ٤٥١٩ – مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٩٩٤م – مسند الإمام أحمد ٤٢٢/٤ باسناد صحيح .

(٢) لقمان ١٩

(٣)صحيح البخاري ٢٣٧٣/٥ – باب القصد والمداومة على العمل .

(٤)مقاصد الشريعة الإسلامية – للظاهر بن عاشور مره المطبعة الفنية بتونس.

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها علال الفاسي ص ٧ ط دار الغرب الإسلامي بيروت

وضح التعريف أن مقاصد الشريعة هي الحكم والعلل التي أودعها الله تعالى في كل حكم من أحكامها، كالحكمة من الصلاة أنها تنهي عن الفحشاء والمنكر، والحكمة من تحريم الخمر حفظ العقل وغير ذلك من الحكم، وهذا التعريف للمقاصد الجزئية، والتعريف الأول للمقاصد الشريعة العامة . وقد عرفت بتعريفات أخرى مشابه لهذا التعريف وتشير إلى نفس المعنى يمكن الرجوع إليها في مظانها.

رابعاً: علاقة الشريعة بالمقاصد:

لا شك أن هنالك علاقة وثيقة بين الشريعة ومقاصدها، فالشريعة عبارة عن مجموعة أحكام العبادات والمعاملات والسلوكيات، وهذه الأحكام ترمي وتهدف إلى تحقيق مصلحة الإنسان في دنياه وأخراه حتى يتمكن من تعمير الأرض وتحقيق معنى الاستخلاف فيها، فهي تسعى لتحقيق ضروريات الإنسان من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وكل ما يساعد في تحقيق ذلك من دفع الحرج والمشقة عنه حتى يتمكن من أداء التكاليف ، وتغرس فيه مكارم الأخلاق وتتممها، تعد مقاصد الشريعة من الشروط الواجبة معرفتها على المجتهدين والفقهاء حتى يكون الاجتهاد واستنباط الأحكام موافقا لها متمشياً معها غير مصادماً لها ، حتى تتحقق الأهداف والغايات التي تسعى الشريعة لتحقيقها من مصلحة ورفع حرج ودفع مشقة وإقامة العدل وغير ذلك من المعاني التي ترمي إليها الشريعة، وقد أشار ابن القيم إلى أهمية معرفة المقاصد وعلاقتها بالشريعة في قوله :(هذا فصل عظيم النفع جداً ، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إلى ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به ، فإن الشريعة مبناها وأساسها

على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليس من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه وظله في أرضه ، حكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها) .[1]

فقول ابن القيم يدل على وجود العلاقة بين الشريعة ومقاصدها وأن الأحكام المستنبطة منها لابد أن توافق المقاصد لتتحقق المصلحة للإنسان والتي تكملها وتتمها مكارم الأخلاق.

خامساً : مراتب مقاصد الشريعة :

تنقسم مقاصد الشريعة من حيث قوتها ومدى الحاجة إليها إلى ثلاث مراتب :-

١.مقاصد الشريعة الضرورية :-

وقد عرفها الشاطبي بأنها (ما لا بد منها في قيام الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد وتهارج ، وفوات حياة وفي الأخرى فوات النجاة والنعيم) [2]، فهي ضرورية لأنها إذا انخرمت في مجتمع اختل نظامه وعم فيه الفساد الذي يمكن أن يبلغ حد الهلاك ، ووجه تسميتها بذلك لأن فقدها يوقع الضرر وبوجودها يندفع الضرر،وهي كلية لاندراج جميع أحكام الشريعة فيها ورجوعها إليها، فما من حكم من الأحكام إلا وهو راجع إلى حفظ هذه الكليات مباشرة أو بطريق التكميل والتتميم وهي مقاصد لأن جميع أحكام الشريعة وسائل إلى تحقيقها وقيامها، وهي تتمثل في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

---

(١) أعلام الموقعين ٣/٣ – دار الجيل بيروت ط عبد الرؤوف سعيد ١٩٧٣م.

(٢) الموافقات للشاطبي ٨/٢ ، إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي المالكي – دار المعرفة بيروت

٢.مقاصد الشريعة الحاجية :

هي المصالح التي يحتاج إليها الناس من حيث التوسعة ، وإذا فقدت وقع الناس في الحرج والمشقة ولكن لا يبلغ ذلك بالناس مبلغ الهلاك.[١]

وقد عرفها ابن عاشور بقوله (الحاجي ما تحتاج الأمة إليه لاقتناء مصالحها وانتظام أمورها على وجه أحسن بحيث لولا مراعاته لما فسد النظام ولكنه كان على حالة غير منتظمة ، فلذلك كان لا يبلغ مبلغ الضروري.[٢]

ومن أمثلتها كل ما فيه توسعه وتخفيف وتيسير ورفع حرج في العبادات في حالة المرض والسفر والعوارض الأخرى ، وكل ما يرجع إلى العمل بمكارم الأخلاق وما يحسن في العادات.[٣]

٣.مقاصد الشريعة التحسينية :

هي المصالح التي تقتضيها مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، وقد عرفها الشاطبي بأنها (الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الرجحاني ... ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق) [١٤]. وقال ابن عاشور :(المصالح التحسينية هي عندي ما كان بها كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة ، ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم حتى تكون الأمة الإسلامية مرغاباً في الاندماج فيها أو التقرب منها) [٤]، ومثل لها العز بن عبد السلام بالمآكل الطيبات والملابس الناعمات والغرف العاليات والقصور الواسعات والمراكب النفيسات ونكاح

---

(١) الموافقات للشاطبي ٢/١٠

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور ص ٨٢ .

(٣) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ٢/٦٠٠ – دار الكتب العلمية بيروت – الموافقات للشاطبي ٢/١١.

(٤) . مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور ص ٨٢ .

الجوارى الفاتنات والسراري الفائقات [1]. وفي العبادات كإزالة النجاسة، وستر العورة وأخذ الزينة والمندوبات التابعة للفرائض. [2]

إذا فقدت التحسينات لا يختل نظام المجتمع كما هو الحال في الضروريات ولا يقع الناس في حرج كما في الحاجيات غير أن حياتهم تكون مستنكرة في تقدير العقول السليمة والفطرة المستقيمية.

المبحث الثاني : الأخلاق

نتناول في هذا المبحث حقيقة الأخلاق وأهميتها ومكانتها وخصائص الأخلاق في الإسلام ودوافع اكتسابها ودلائلها.

أولاً : حقيقة الأخلاق :

١.تعريف الأخلاق في اللغة : [3]

الأخلاق جمع خُلُق، بضم اللام وسكونها وهو الطبع والسجية، والخُلق وصف الإنسان من الناحية المعنوية في خصاله وطبائعه فهو يعبر عن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها ، فيوصف بالحسن أو القبح ويرتبط به المدح أو الذم.

الخلَق بفتح الخاء – مختص بالهيئة والصفة المدركة بالبصر ، والخُلق بضم الخاء متعلق بالخصال المدركة بالبصيرة .

حقيقة الأخلاق في اللغة هي : ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب ، ومعنى ذلك أن

(١) قواعد الأحكام – العز بن عبد السلام ٢/ ٦٠ - دار الكتب العلمية – بيروت .

(٢) الموافقات ٢ / ١٢

(٣)مختار الصحاح ١/ ٧٨ – لسان العرب ١٠/ ٨٥ – ٨٦

الأخلاق تطلق على الصفات الحسنة التي تصبح من سجية الإنسان فتصير كخلقته الظاهرة الملازمة له والتي يعرف بها ، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (١)

٢.الفرق بين الخُلق والخَلق :

يتمثل الفرق بين الخُلق والخَلق في الآتي :

أ. أن الخُلق يكون باختيار الإنسان وقصده فيمكن أن يكون حسناً أو قبيحاً ، أما الخَلق فلا اختيار ولا قصد للإنسان فيه مثل الطول والقصر.

ب. الخُلق يكون موضع للمدح والذم ، فالإنسان يمدح لكرمه ويذم لبخله لأنه باختيار الإنسان وقصده أما الخَلق فلا يعد موضع للذم أو المدح لأن الإنسان لا اختيار له فيه فلا يذم لقصره ولا يمدح لطوله.

ج. الخُلق يترتب عليه الثواب والعقاب لأنه باختيار الإنسان وقصده أما الخَلق فلا يترتب عليه الثواب أو العقاب لأنه لا اختيار للإنسان فيه.

٣.تعريف الأخلاق في الاصطلاح :

عرفت الأخلاق في الاصطلاح بعدة تعريفات منها ما يلي :-

التعريف الأول : هي عبارة عن هيئة للنفس راسخة عند الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية. (٢)

شرح ومناقشة التعريف :

(١) .الشعراء ١٣٧

(٢)التعريفات للجرجاني ٣٢٤/١ – دار الفكر المعاصر – دار الفكر بيروت ، دمشق ط١ ١٤١٠هـ ابجد العلوم – صديق حسن الفتوحي – دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨م – إحياء علوم الدين للغزالي ص ١٤٣٤ – دار الشعب .

أفاد التعريف أن الأخلاق عبارة عن هيئة أو ملكة للنفس ، هذه الملكة يمكن أن تكون فطرية أو مكتسبة تصدر عنها الأفعال بكل سهولة ويسر ولا تحتاج إلى فكر وروية أي تصدر من غير قصد وإرادة.

يرى البعض أن التعريف رغم شيوعه إلا أنه قاصر من عدة نواحي ، فهو يتناول الجانب الفطري فقط ولا يتناول الجانب العملي الإرادي الذي يكتسبه الإنسان بالتعلم والتدريب والتعود وإن لم يكن من طبعة النفس في الأصل [1]. لكن يرد على ذلك بأن الأخلاق يمكن أن تكتسب بالتعود والتدرب ومن ثم ترسخ في النفس فتكون هيئة للنفس راسخة، كذلك لوحظ على التعريف انه لا يتناول جانب القصد والإرادة والاختيار للفعل لأن الفعل الذي يصدر عن النفس بدون قصد واختيار أي صدفة، لا يعد خُلقاً، كذلك حصر التعريف الأخلاق في الأفعال بينما الأخلاق تتجلى في الأقوال والأفعال وفي الهيئات والأشكال.

التعريف الثاني: هي قوة راسخة للنفس تنزع بها بسهولة ودون تكلف إلى اختيار الخير أو الشر وتظهر آثارها في الأقوال والأفعال والأحوال. [2]

الخير والشر الوارد في التعريف قد يكون خاصاً بالفرد ولا يتناول السلوك مع الآخرين.

التعريف الثالث: هي صفة مستقرة في النفس ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة [3] فالأخلاق صفة مستقرة غير عارضة، لأن الإنسان قد يتلبس ببعض الصفات غير الثابتة لموقف معين كالكرم أو الخوف أو الغضب أو غير ذلك ، وفي الأحوال العادية تظهر منه الصفات الحقيقية التي قد تخالف هذه الصفات.

---

(١)تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ٢٥ – مكتبة صبح – الأخلاق للحفاظ ص ٢١

(٢)الثقافة الإسلامية د. علي عمر بادحدح ص ١٦ – دار حافظ – جدة.

(٣)مجلة البحوث الإسلامية ٨٨/٣٦٨ العدد ٨٨ رجب ١٤٣٠ – الرئاسة العامة للبحوث العلمية السعودية.

هذه الصفة المستقرة لها آثار سلوكية ، فالسلوك ليس هو الخلق ، بل هو أثره وشكله الظاهر ، فسلوك الإنسان وتصرفاته يدلان على خلقه غالباً ، لأنه قد تصدر منه تصرفات في حالات طارئة لا تدل على خلقه ، لذا فإن الحكم على الشخص يكون من خلال سلوكه الظاهر الغالب كما دل قوله ﷺ : (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان). [(١)]

التعريف الرابع : هي السجايا والطباع والأحوال الباطنة التي تدرك بالبصيرة.[(٢)]

حصر التعريف الخلق في أعمال القلوب وصفاتها إلا أنه أشمل وأعم من عمل القلوب لأن الخلق يكون قلبياً ويكون في الظاهر ، بينما أعمال القلوب تختص بعمل القلب .

مما تقدم فإن الأخلاق هي مجموعة القواعد والمبادئ المجردة التي يخضع لها الإنسان في تصرفاته ويحتكم إليها في تقييم سلوكه ، وتوصف بالحسن أو القبح.

٤.علاقة الخلق بالسلوك : [(٣)]

أ.تعريف السلوك : -

يطلق السلوك على عمل الإنسان الصادر عن إرادة حرة ، المتجه نحو غاية معينة مقصودة ، وكذلك الأعمال شبه الإرادية.

فهو لا يشمل عمل الحيوان أو النبات ، ولا يشمل أعمال الإنسان التي لا حرية له فيها ،

(١) سنن البيهقي الكبرى ٦٦/٣ حديث ٤٧٦٨ باب فضل المساجد مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٩٩٤م وسنن ابن ماجة ٢٦٣/١ ، حديث ٨٠٢ باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة – دار الفكر بيروت ، وقد وقع خلاف في صحته ، وقد صححه الحاكم وابن حبان وضعفه الإمام أحمد ، راجع إسلام ويب.

(٢) مجلة الرسالة للتدريب والاستشارات فبراير ٢٠١١ م – المؤسسة الحرة (ويكبيديا) ٢٥ مايو ٢٠١٢م ، الأخلاق الإسلامية وأسسها – عبد الرحمن حبنكة ١٠/١.

(٣) راجع أخلاقنا ص ٥٥ – د. محمد ربيع جوهري – مكتبة دار الفجر الإسلامية – المدينة المنورة .

ولا إرادة ، كفعل المكره ، والمجنون ، والسكران.

ب.علاقة الخلق بالسلوك :

تقدم أن الخُلق هو صفة النفس الباطنة ، وهو يدرك بالبصيرة والسلوك هو صورة النفس الظاهرة ، وهو يدرك بالبصر ، فالعلاقة بينهما هي علاقة الدال بالمدلول.

فإذا كان سلوك إنسان حسناً محموداً ، كان خلقه حسناً محموداً وإذا كان سلوكه سيئاً مذموماً ، كان خلقه كذلك سيئاً مذموماً ، وذلك إذا لم توجد أسباب خارجية تؤثر على السلوك ، فتجعله لا يدل دلالة صادقة على الخُلق كمن يتصرف رياء أو ملقا لبعض الحاضرين، أو لم توجد موانع تمنع من دلالة السلوك على الخلق ، كالشخص الكريم الذي لا يجد ما يجود به ، والشجاع الذي لا يجد فرصة لإظهار شجاعته.

٥.علاقة الملكة بالأخلاق: (١)

الملكة هي صفة راسخة في النفس ، وبيان ذلك أنها تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال ، ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها صارت بطيئة الزوال فتصير ملكة وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقاً.

ثانياً : أهمية الأخلاق ومكانتها :

١.أهمية الأخلاق :

تعتبر الأخلاق شكلاً من أشكال الوعي الإنساني وعنوان الشعوب وقد حثت عليها جميع الأديان ونادى بها المصلحون وتغنى بها الشعراء في قصائدهم ومن ذلك البيت المشهور لأحمد شوقي :

(١) التعريفات للجرجاني ٢٩٦/١ – دار الكتاب العربي بيروت ط١ ١٤٠٥هـ.

وإنما الأمـم الأخلاق ما بقيت ❖❖❖ فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا [1]

فالأخلاق هي الوجود والوجه الثاني للإنسان مثل وجوده الحيواني البشري، وهذا يدل على أهمية الأخلاق عند الإنسان فهي جزء من كينونته وخصائصه . المميزة عن سائر المخلوقات ، فهو الكائن الوحيد الذي لا يتحدد وجوده إلا من خلال علاقته بالقيم والأخلاق[2]، والميول الفطري للخُلق الحسن يجعل الأخلاق شكلاً من أشكال الوعي الإنساني ويغرس بذور الخير ويرتقي بالسلوك في التعامل مع الآخرين ويبتعد بالنفس عن التعدي والإيذاء وإلحاق الضرر، ولا يوجد مجتمع إنساني إلا وقد اتفق أفراده على أخلاق حسنة تعتبر مقياساً للتفاضل ، وأخرى سيئة تعد سبباً للذم والمؤاخذة، فكل مجتمع له منظومة أخلاقية تمثله وتعبر عنه ، فالأخلاق تعبر عن مجموعة القيم والمبادئ التي ترتقي إلى درجة أن تصبح مرجعية ثقافية للشعوب لتكون سنداً قانونياً تستقي منه الدول الأنظمة والقوانين ، ويمكن أن تلعب دوراً كبيراً في تغير الواقع الحالي إلى الأفضل ، لذا اهتم المسلمون باكتساب الحميد منها، وقوله ﷺ:(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [3]. يدل على أمرين الأول أن الأخلاق أمر ثابت وملازم للإنسانية ولكنه غير كامل بدون الإسلام ، والثاني أنه يريد أن يتمم مكارم الأخلاق ويكملها في نفوس أمته والناس أجمعين ، وذلك من غاية بعثته، حتى تشيع الإلفة والمحبة بين الناس وتتحقق الأهداف النبيلة من سعادة النفوس ورضا الضمير والفوز والنجاح في الدنيا والآخرة.

---

(١)مجلة اهاتي الشعرية ٢٢ مايو ٢٠١٢م – ديوان الشوقيات .

(٢)فلسفة الأخلاق للإمام عبد الفتاح – ص ٣٢ .

(٣) كشف الخفاء لإسماعيل محمد الجراحي ٢٤٥/١ حديث مرفوع عن أبي هريرة ، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ، للخطيب البغدادي ٩٢/١ حديث ٤٠ باب ذكر ما ينبغي للراوي والسامع ، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٢هـ.

تتجلى كذلك أهمية الأخلاق في مجال العمل والمهن فإن الكفاءة العلمية والعملية لا تكفي لتحقيق الربح المادي بل إن المفهوم الصحيح يؤكد أن الأخلاق لها آثار إيجابية كثيرة على حسن الأداء الوظيفي والمهني وأن الجودة في الإنتاج وتحصيل الربح لا يعد سر قوة وبقاء الشركات دون العناية بالأخلاق ، وأن الشركات التجارية الأقل التزاماً بالأخلاق كثرت فيها التجاوزات الإدارية والأخلاقية والفضائح المالية مما أدى إلى انهيارها ، لذا تسابقت كثير من الشركات لإصدار مدونات أخلاقية خاصة بها تتضمن مصطلحات في هذا الشأن، منها ميثاق آداب المهنة وأخلاقيات الوظيفة والعمل وأخلاقيات الإدارة لذلك اهتمت الجامعات بمفهوم الأخلاق حيث أصبح علماً مستقلاً[1] يدرس ؛ فالأخلاق تعتبر ركيزة أساسية في بناء الحضارة لأنها تعتني بتقويم السلوك والانضباط على مستوى الفرد والمجتمع ليحقق الإنسان معنى الاستخلاف وعمران الأرض، وإن انعدام الأخلاق الفاضلة أو ضعفها في أي حضارة يعتبر من أعظم أسباب سقوطها وانهيارها، وقد أكد ذلك علماء الاجتماع والمؤرخون، فابن خلدون جعل الإسراف والتبذير واصطناع قرناء السوء وإبعاد الصالحين الناصحين هو طور الانهيار في الحضارات[2] . وأما المؤرخ البريطاني " توينبي " فقد بين أن السبب الأساسي لعجز الحضارات عن الاستجابة للتحدي ومن ثم الانهيار هو فقدان قوتها الأخلاقية والروحية، ولذا جعل الطور السابق للانهيار والسقوط هو طور الانحلال والتدهور الأخلاقي[3]، وقد أشار إلى ذلك المعنى القرآن الكريم قال

(١) أخلاقيات الإدارة في عالم متغير ص ١٣ – ١٤ – لنجم عبود نجم – المكتبة المركزية جامعة قالمة ط١ ٢٠٠٣م أو مكتبة الجمعية.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٩ .

(٣) التفسير الإسلامي للتاريخ – عماد الدين خليل ص ٧٢ .

تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[2]. وأكدت السنة ذلك قال ﷺ: (إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله)[3] والقرآن قرر أن ذلك سنة ربانية كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[4].

٢.مكانة الأخلاق في الإسلام :

تتضح مكانة الأخلاق في الإسلام من خلال عدة أمور منها ما يلي :

أولاً: كثرة النصوص الواردة في الكتاب والسنة التي تتحدث عن الفضائل الخلقية بصراحة أو تعرضت لها في ثنايا القصص القرآنية والأحكام الشرعية ، يدل على اهتمام الإسلام بالأخلاق ، من ذلك قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[5]. وهو خلق الإحسان إلى الناس بلا مقابل مادي ، وقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[6]

(١) هود ١١٧

(٢) سورة الإسراء الآية ١٦ .

(٣) . شعب الإيمان للبيهقي ٤/ ٣٦٣ – دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٠هـ.

(٤) الرعد ١١

(٥) القصص ٢٤

(٦) يوسف ٩٢

وهو خلق العفو، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[2]، ومن السنة قوله ﷺ: (حسنوا أخلاقكم)[3] وقوله ﷺ: (اللهم أهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت)[4]. وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

الثاني: المنزلة العظيمة التي جعلت للأخلاق في الإسلام:

جعل الإسلام للأخلاق منزلة رفيعة ومكانة عالية حيث مدح الرسول ﷺ بحسن الخلق، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾سورة القلم "٤"، وأن صاحب الخلق الحسن يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم قال ﷺ: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)[5]. وأنها ترفع قدر صاحبها وتجعله أقرب إلى الرسول مجلساً يوم القيامة، قال ﷺ: (ما زاد الله عبداً يعفوه إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[6]، وقال ﷺ: (إن من أحبكم إليَّ أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقا)[7].

ولمكانة الأخلاق في الإسلام أمر الله تعالى بها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾[8]

(١) التوبة ١١٩

(٢) آل عمران ١٣٤

(٣) أخرجه أبوبكر بن لال في مكارم الأخلاق ٣٥/٣، وهو حديث متقطع ورجاله ثقات، وورد براويات أخرى، انظر سنن الترمذي ٥٣٨/٥، والموطأ لمالك ٩٠٢/٢ – ومسند أحمد ١٦٨/٢.

(٤) السنن الكبرى للنسائي ٣١٣/١ حديث ١٩٧١ – دار الكتب العلمية بيروت ط١ – ١٩٩١م – مسند أحمد ١/

(٥) المستدرك على الصحيحين للنيسابوري ١٢٨/١ حديث ١٩٩ – دار الكتب العلمية ط بيروت ١١٩٠ حديث مرفوع عن عائشة.

(٦) صحيح مسلم ٢٠١١/٤ حديث ٢٥٨٨ باب استحباب العفو والتواضع.

(٧) كتاب الزهد – لابن أبي عاصم ١٤٧/١ – دار الريان للتراث القاهرة – صححه أبو داؤود والترمذي.

(٨) النساء ٥٨

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

الثالث: جعل الشارع الأخلاق هدفاً ومقصداً من مقاصد العبادات:

تهدف العبادات متمثلة في أركانها الأربعة الصلاة والصيام والحج والزكاة وغيرها إلى تحقيق فضائل الأخلاق ومحاسن العادات في الفرد والمجتمع وتبعدهم عن سوء الأعمال ورذائل الأفعال والأقوال، فالصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر وهذا هدف ومقصدجزئي قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[2].

والزكاة الهدف والمقصد منها تطهير النفس من الشح والبخل وإزالة حقد وحسد الفقراء وتحقق التكافل الاجتماعي، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

والصيام يعصم من لغو الحديث ويهذب الخلق قال (ﷺ): (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[4]، والحج يربي المسلم على ترك الجدال والأخلاق الرذيلة قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[5]. فالفرائض والنوافل مع أنها عبادات

---

(١) الانعام ١٥٢

(٢) العنكبوت ٤٥

(٣) التوبة ١٠٣

(٤) صحيح البخاري ٢/٦٧٣ باب من لم يدع قول الزور.

(٥) البقرة ١٩٧

يتقرب بها إلى الله فإن من مقاصدها وأهدافها تربية المرء على حسن الخلق.

الرابع : ترتيب العقوبة والوعيد في سوء الأخلاق :

كما تكون المثوبة والدرجة الرفيعة في حسن الخلق تكون العقوبة والوعيد في سوء الأخلاق ، فتوعد الله من يسعى في نشر الفاحشة ليفسد أخلاق المؤمنين بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] ، والتعالي والتكبر مبغوض عند الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[2] . كذلك خائن الأمانة مبغوض عند لله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[3]، وفي الحديث سمي صاحب الخلق السيئ منافقاً في قوله (ﷺ): (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان).[4]، والبغض والوعيد والعذاب يدل على أن الفعل منهي عنه ومقصود لله تركه .

الخامس: اهتمام علماء الإسلام بالأخلاق :

اهتم علماء الأمة الإسلامية منذ الوهلة الأولى بالأخلاق حيث كانوا يحرصون على الالتزام بالأخلاق ويحثون الناس على الالتزام بها . فقد ورد أن أبابكر الصديق (رضي الله عنه) كان يحلب للحي أغنامهم ، فلما ولي الخلافة قالت جارية منهم : الآن

---

(١) النور ١٩

(٢) النساء ٣٦

(٣) .النساء ١٠٧

(٤) صحيح البخاري ١/ ٢١ حديث ٣٣ باب علامة المنافق – وباب من أمر بانجاز الوعد ٢/ ٩٥٢.

لا يحلب لنا منايح الغنم ، فسمعها أبو بكر ، فقال : بلى لعمري لأحلبنها لكم) [1] .

وورد عن عمر رضي الله عنه انه كان يقوم بنفسه برعاية امرأة عجوز في المدينة لا كافل لها ، واستمر على ذلك حتى بعد خلافته. [2]

وقال عمر رضي الله عنه : لا تغرني صلاة أمرئ ولا صومه من شاء صام ومن شاء صلى، لا دين لمن لا أمانة له. [3]

وورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين سئل عن من يختلف كلامه أمام الناس عن كلامه في خلوه ، فقال : كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ [4]، فيجب الالتزام بالصدق في كل حال.

مما تقدم تتضح مكانة الأخلاق في الإسلام واهتمام علماء الإسلام بها .

ثالثاً : خصائص الأخلاق في الإسلام: [5]

الأخلاق في الإسلام تميزت عن غيرها بخصائص ذات أثر فعال منها ما يلي : -

١ .الديانة :

الأخلاق في الإسلام ليست إنتاجا بشريا ولا خلاصة لتجارب إنسانية أو قوانين وضعية، وإنما نابعة من شرع خالق البشر الذي يعلم ما يصلحهم وما يفسدهم، فمن الأخلاق ما أثبته الشرع ابتداء ، ومنها ما أقره مما تعارف عليه الناس، وما يرد فيه نص خاص فهو مندرج تحت نصوص عامة ومصالح تحرص عليها الشريعة الإسلامية، وقد جعل

---

(١) . صفوة الصفوة – عبد الرحمن بن الفرج ١/ ٢٥٨ – دار المعرفة بيروت – ١٩٧٩م.

(٢) . لأخلاقيات المهنة في الإسلام وتطبيقاتها رابط www.kas-employers.com

(٣) سنن البيهقي الكبرى ٦/ ٢٨٨ – مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٩٩٤م .

(٤) مسند الطيالسي – سليمان بن داؤود الطيالسي ١/ ٢٦٤ – دار المعرفة بيروت

(٥) أخلاقنا – د. محمد ربيع محمد جوهري ص ٣٠ – ٣٦ – مكتبة الفجر الإسلامية المدينة المنورة.

ذلك المسؤولية فيها والالتزام بها ذاتاً لارتباطها بالدين والجزاء والثواب.

٢.عبادة بالمقصد:

المسلم يدفعه ايمانه للتحلي بمكارم الأخلاق، قال (ﷺ): (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)[1]، فالتحلي بالأخلاق الحميدة إذا قصد به طاعة الله تعالى والالتزام بشرعه ابتغاء مرضاته يعد عبادة يثاب عليها ، وبها يكتمل إيمان المسلم كما دل الحديث.

٣.الشمولية :

تمتاز الأخلاق في الإسلام بالشمولية لجميع جوانب الحياة ، فتتناول الأخلاق الفردية والأسرية والاجتماعية ، وسائر أحوال الحياة البشرية في السلم والحرب، وتشمل التعامل مع الحيوان والجماد والبيئة، فالأخلاق الإسلامية تضبط الإنسان المسلم في تعامله في شتى المجالات وتحثه على التمسك بالسلوك الراقي الحميد.

٤.الثبات :

تمتاز الأخلاق الإسلامية بالثبات على الخصال الحسنة ، كلما تكررت المواقف المقتضية لها ، فلا تتغير أخلاق المسلم مع الفقير لفقره أو مع الغني لغناه ولا مع الضعيف أو القوي ولا في حالة حبة أو بغضه ، ولا في حالة كونه رئيساً أو مرؤوساً ، ولا مع تغير الأحوال أو الأزمان فلا ينطبق عليه المثل القائل (إن كنت في روما فتصرف كالرومان)[2] بل يتصرف بأخلاق ثابته لا تتغير حسب ما يحثه عليه دينه .

٥.الإقناع :

---

(١)المعجم الأوسط للطبراني ٣٥٦/٤ حديث ٤٤١٩ – دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ - معجم الزوائد ٣١٧/٥ علي أبوبكر الهيثمي دار الريان ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت – علل ابن أبي الحاتم عبد الرحمن ابن محمد الرازي ٢٦٦/٢ حديث ٢٢٩٦ – دار المعرفة بيروت ١٤٠٥هـ.

(٢)حكم وأمثال – المدح ومكارم الأخلاق – عالم الرومانسية – الرابط www.dalen.net

الأخلاق الإسلامية ، أخلاق مقنعة للعقل مرضية للقلب والوجدان ، فما من خلق حث عليه الإسلام، أو حذر منه يتعارض مع العقل المستنير ، أو يجافي القلب السليم فالقرآن الكريم عندما ينهي عن الغيبة ويقول (ولا يغتب بعضكم بعضاً) يرد النهي بقوله : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، والرسول ﷺ حينما يعرف البر والإثم يقول: (البر ما سكنت إليه النفس ، وأطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ، ولم يطمئن إليه القلب ، وإن أفتاك المفتون).[2]

رابعاً : أنواع الأخلاق ومراحل تكوينها :

١.أنواع الأخلاق :

الأخلاق كما تقدم هي ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب والسلوك وقد يكون ذلك فطرياً وقد يكون مكتسباً [3]نوضح ذلك فيما يلي :

النوع الأول: الأخلاق الفطرية :

هي طباع وهبية جبلية من سجية الإنسان التي نخلق عليها .

الأخلاق الفطرية منها ما هو حسن ومنها ما هو سيئ، والناس على اختلاف في ذلك فهذا هادي الطبع وذاك سريع الغضب ، وهذا كريم جواد ، والآخر بخيل طماع ، فهي جزء من خلقة الإنسان وفطرته التي جبل عليها يدل على ذلك قول الرسول (ﷺ)

---

(١) .الحجرات ١٢

(٢) . المعجم الأوسط للطبراني ٣٥٦/٤ حديث ٤٤١٩ – دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ - معجم الزوائد – علي أبو بكر الهيثمي ٣١٧/٥ دار الريان – دار الكتاب العربي – القاهرة – بيروت – علل ابن أبي حاتم الرازي ٢٦٦/٢ حديث ٢٢٩٦ – دار المعرفة بيروت ١٤٠٥هـ.

(٣)مقياس اللغة لأحمد بن فارس ٢١٤/٢ دار الجيل بيروت ط١ – أخلاقنا د. محمد ربيع جوهري – ص ٥٣ – مكتبة دار الفجر الإسلامية المدينة المنورة ط٨ – ٢٠٠٦م .

للاشج رضي الله عنه : (إن فيك خلتين يحبها الله : الحلم والأناة) قال: يا رسول الله : أنا أتخلق بها أم الله جبلني عليهما ؟ قال: " بل الله جبلك عليهما " قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله.

النوع الثاني: الأخلاق المكتسبة :

هي الأخلاق التي يكتسبها الإنسان بأن يتعلم ويتعود عليها أو يربى عليها ويعود على التحلي بها من والديه أو معلمه أو مجتمعه حتى تكون من طبعه وسجيته الثابتة رغم أنها لم تكن موجودة أول الأمر. التربية الأسرية والتعليمية خاصة في المرحلة الأولى تعتبر من المؤثرات في الالتزام بمكارم الأخلاق واكتسابها والتحلي بها يدل على ذلك ما قصه الله تعالى من موعظة لقمان لابنه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1].

الدليل على اكتساب الأخلاق الحسنة :

هنالك أدلة على أن الأخلاق الحسنة يمكن اكتسابها منها ما يلي :

أ. قوله ﷺ: (ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله.)[2] فإذا تحامل على نفسه وتصبر أمره الله بكمال الصبر وإن لم يكن من طبيعته وخلقه الأصيل.

ب. في الأثر (إنما العلم بالتعلم وإنما الحكم بالتحلم ومن يتحرى الخير يعطه...).[3]

(١) لقمان ١٨

(٢) . سنن البيهقي الكبرى ١٠٢/٧ – باب ما جاء في قبلة الجسد – مسند الإمام أحمد ٢٠٥/٤.

(٣) كشف الخفاء – إسماعيل بن محمد الجراحي ١٤٩/٢ مؤسسة الرسالة بيروت ط٤ ١٤٠٥هـ - معجم الزوائد ١٢٨/١ – باب العلم بالتعلم.

ج. ما ورد من دعوات الرسول ﷺ:(اللهم أهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت وأصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت).[1]

د. لو أن الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديب ولما قال رسول الله ﷺ : (حسنوا أخلاقكم...).[2]

٢. مراحل تكوين الأخلاق : -[3]

الخلق المكتسب قبل تكوينه تسبقه عمليات نفسية ، يكون هو الخطوة الأخيرة لها ، وبيان ذلك يكون في المراحل الآتية : -

١. الخاطر: وهو حديث النفس وهو أول ما يرد على قلب الإنسان ، فنفس الإنسان تحدثه بأمور كثيرة قد يميل إلى أحدها فيكون الميل .

٢. الميل: هو توجه الإنسان لخاطر من خواطره يتصوره ، ويدرك الغرض منه والغاية المترتبة عليه ، فإذا تغلب ميل على سائر ميول الإنسان صار هذا الميل رغبة.

٣. الرغبة: هي تغلب ميل على بقية الميول المرجوة في النفس الإنسانية ، فإذا فكر الإنسان في هذه الرغبة ودرسها دراسة واعية وعزم عليها صارت هذه الرغبة إرادة.

٤. الإرادة : هي صفة النفس التي تخصص رغبة من الرغبات التي مالت إليها النفس لكي تتحقق وتوجد ، فإذا ما تكررت الإرادة صارت عادة.

٥. العادة : هي الإرادة التي تتكرر وتصدر عن حالة راسخة ، هي الخلق فمراحل

---

(١)السنن الكبرى للنسائي ٣١٣/١ حديث رقم ١٩٧١ دار الكتب العلمية بيروت ط١ – ١٩٩١م – مسند أحمد ١٠٢/١.

(٢)أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق ٣٥/٣ . وهو حديث منقطع ورجاله ثقات . ورد بهذا روايات أخرى . أنظر سنن الترمذي ٥٣٨/٥ ، والموطأ لمالك ٩٠٢/٢ وسنن أحمد ١٦٨/٢.

(٣)تأملات في فلسفة الأخلاق – منصور على رجب ص ٨٨ – ٩٠ – الأنجلو المصرية.

تكوين الخلق هي الخاطر ، فالميل ، فالرغبة ، فالإرادة ، فالعادة .

خامساً : وسائل ودوافع اكتساب الأخلاق : (١)

أولا : وسائل اكتساب الأخلاق :

هنالك وسائل تساعد في اكتساب الأخلاق حتى تكون من سجايا وطباع الإنسان ، منها ما يلي :-

١.الوعظ والإرشاد :

الوعظ والإرشاد فيه التعريف بالخلق الفاضل والحث على امتثاله والتنفير من الخلق السيئ وقد وردت كثير من النصوص واعظة ومرشدة وحاثة على الأخلاق الحسنة منها قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾(٢) ، قال تعالى : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴾(٣) . ومن مواعظ وإرشاد لقمان لابنه : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي

(١) أخلاقنا– د. محمد ربيع جوهري – ص ٥٥ – ما بعدها – دار الفجر المدينة المنورة ط٨ ٢٠٠٦م .

(٢) النساء ٥٨

(٣) النساء ٦٦

مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[1] .

ومن الإرشاد والمواعظ التي تساعد في اكتساب الأخلاق الفاضلة وتحبيبها للنفس القصص وضرب الأمثال ، الوارد في القرآن قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[2] ، وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[3].

٢. تعود الخلق الفاضل :

يولد الإنسان على الفطرة مستعداً لقبول الخير أو الشر قال تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾[4] .

فالإنابة إلى الله وتقوه والبعد عن مظاهر الشر والرذيلة يصون الفطرة ويدفعها إلى الخير والفضيلة ، ومن هنا تكون أهمية التدريب والتعود على فعل مكارم الأخلاق حتى تصير عادة سهلة ميسرة ، هذا ما يفهم من حديث الرسول (ﷺ) : (الخير عادة ، والشر لجاجة ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[5]، فالتعود وسيلة من وسائل التربية

---

(١) لقمان ١٦- ١٩

(٢) المائدة ٢٧

(٣) ابراهيم ٢٤- ٢٥

(٤) .الشمس ٧- ٨

(٥)صحيح ابن حيان ٨/٢ – حديث ٣١٠ باب ذكر الأخيار عما يجب على المرء – سنن ابن ماجة ١/ ٨٠ باب فضل العلماء – دار الفكر – بيروت .

وعن طريقها يتحول الخير إلى عادة تقوم بها النفس بغير جهد وتصبح من سلوك الإنسان وأخلاقه.

٣.الصداقة :

الصداقة لها أثر بالغ في تكوين الخلق ، فإذا كان الصديق صالحاً نقياً كان له دوره في ظهور الخلق الفاضل المحمود على صديقه وإذا كان فاجراً منحرفاً كان له أثره في وجود الخلق السيئ المذموم ، وقد ورد من النصوص ما يوضح أثر الصداقة وعواقبها قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[1].

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾[2]. وقال ﷺ: (المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل)[3] وقال ﷺ: (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك وإما تجد ريحاً خبيثة).[4]

(١) الفرقان ٢٧- ٢٩

(٢) النساء ٣٨

(٣) . مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٠٣ حديث ٨٠١٥ – المستدرك على الصحيحين ٤/ ١٨٨ حديث ٧٣١٩ للنيسابوري – دار الكتب العلمية بيروت ط١ – ١٩٩٠م

(٤)صحيح مسلم ٤/٢٠٢٦ – باب استحباب مجالسة الصالحين – صحيح البخاري ٥/٢١٠٤ حديث ٥٢١٤ –باب المسك.

٤.الأسوة :

الأسوة الحسنة والقدوة والمثل الأعلى من وسائل اكتساب الأخلاق قال تعالى :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١]

وكذلك من عوامل ووسائل اكتساب الأخلاق الثواب أو العقاب عليها.

ثانيا: دوافع اكتساب الأخلاق :

هنالك دوافع تجعل المسلم يسعى لاكتساب الأخلاق الحسنة والتحلى بها منها ما يلي:

أ.الإيمان والجزاء :

يعد الإيمان والجزاء من دوافع اكتساب الأخلاق والتحلي بها نظراً لصلة الأخلاق بالإيمان كما دلَّ كثير من النصوص، فحرص المؤمن على إيمانه يجعله يحرص على الأخلاق الحسنة ويلتزم بها ولو باكتسابها والتعود عليها فالإيمان كما يكون دافعاً لاكتساب الأخلاق الحسنة والتحلي والالتزام بها كذلك يكون سبباً ومانعاً من الوقوع في الأخلاق الرذيلة.

الجزاء والثواب كذلك يجعل المسلم يسعى لاكتساب الأخلاق الحسنة والتحلي بها.

ب.الانتماء إلى الأمة الإسلامية والارتباط بالرسول ﷺ والاقتداء به يكون حافزاً ودافعاً لاكتساب الأخلاق الحسنة قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٢]، إضافة إلى ذلك فإن الأخلاق الحسنة تميز المسلم عن غيره مما يكون دافعاً للتمسك بها.

---

(١) الاحزاب ٢١

(٢) الاحزاب ٢١

ب. .مكان الأخلاق في المجتمع :

للمجتمع دور في التحلي بالأخلاق الحسنة واكتسابها ، فإذا تراضى أهل مجتمع معين على مجموعة من الأخلاق والعادات تصبح أمرا ملزما لأفراده يحرصون على امتثالها وتكون معياراً للتمييز بينهما ، لأن المجتمع يجعل لصاحب الخلق الحسن مكانة رفيعة وذلك من شأنه أن يكون سبباً ودافعاً لاكتساب الأخلاق الحسنة والتحلي بها كذلك يحاصر المجتمع الأخلاق السيئة ويقلل منها.

سادساً : دلائل الأخلاق :

تتجلى الأخلاق من خلال مظاهر ودلائل تدل عليها ، فالخلق لا يعرف إلا من آثاره، لذلك الواجب على الإنسان الابتعاد عن الألفاظ والأعمال والمظاهر التي تؤدي إلى اتهامه بسوء الخلق كما جاء في بعض الآثار (من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن)[1]. وتتجلى دلائل ومظاهر الأخلاق في الآتي :-

١.الكلام :

تعارف الناس على أن الألفاظ والعبارات التي يتفوه بها الإنسان تدل على أخلاقه غالباً ، فإذا تكررت منه تلك الألفاظ ترجح أنه متصف بذلك الخلق الذي تدل عليه ألفاظه، فبذاءة اللسان تدل على سوء الخلق ، وحسن القول يدل على الحياء وعفة النفس، قال بعض العرب : (إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسنة بالفروع)[2]، وقال بعض أهل العلم :(إذا أردت أن نستدل على ما في القلوب فاستدل عليه

(١)مجلة الوعي الإسلامي العدد ٥٣٢ ، ٣/٩/ ٢٠١٠ ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت .

(٢) جمهرة خطب العرب – لأحمد زكي صفوت ٢٩١/٣ – طبعة مصر سنة ١٩٣٣م – مكتبة مشكاة الإسلام

بحركة اللسان فإنه يطلعك على ما في القلب شاء صاحبه أم أبى).[1]

قال يحي بن معاذ :(القلوب كالقدور تغلي بما فيها وألسنتها مغارفها ، فانظر إلى الرجل حين يتكلم فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه – حلو – وحامض – عذب ، وأجاج)[2]، فاللسان يعبر ويدل على الأخلاق الكامنة.

٢.السلوك العملي :

التصرفات التي تصدر من الإنسان تدل على خلقه ، فالإنفاق دليل الكرم والإمساك دليل البخل والانفعال دليل سرعة الغضب ، جميع أعمال الجوارح كاليد والعين تدل على السلوك ، واللسان أكثر الجوارح إبانة لأخلاق صاحبه لذا يحض بالذكر لوحده.

٣.المظهر الخارجي :

المراد بالمظهر الخارجي هيئة الإنسان وملبسه وما يصنع بشعر رأسه ولحيته وما يصنع في رقبته ومعصمه فهذه مؤشرات على الخلق وليس دليلاً كالكلام والتصرفات العملية، ويعتبر المظهر الخارجي أول معبر عن أخلاق صاحبه ويرسم أول انطباع في أذهان الآخرين.

وردت كثير من النصوص الدالة على اعتبار المظهر الخارجي وأهميته منها ما يلي :-

لعن رسول الله ﷺالمتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[3].

حذر رسول الله ﷺمن الألبسة الشاذة ، قال ﷺ :(من لبس ثوب شهرة البسه الله

(١)الجواب الكافي لابن القيم ص ١٥٩ – خزانة الكتب والأبحاث .

(٢)مجلة العلوم الإسلامية الجزائر ٥ ديسمبر ٢٠٠٩ – كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ١٠/ ٦٣

(٣) . صحيح البخاري ٥/ ٢٢٠٧ حديث ٥٥٤٦ باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال

يوم القيامة ثوب مذلةٍ). [1]

أخبر ﷺ أن (من تشبه بقوم فهو منهم). [2]

قد يكون المظهر أيضاً في المسكن والمركب فقد يشير إلى خلق الإسراف والتبذير أو البخل أو التواضع والبساطة أو التبعية والتقليد وقد يدل على الأصالة والمحافظة على الهوية.

٤.الصاحب والصديق :

الصداقة والصحبة تدل وتشير غالباً إلى خلق الإنسان، لأن الإنسان يصاحب من يناسبه في الطباع والأخلاق، فكل شخص يصبوا إلى ما يناسبه ويميل إلى ما يماثله خلقاً وطبعاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [3]

فالنفوس الزكية ذات الأخلاق الطيبة تميل إلى أصحاب الأخلاق الحسنة والنفوس السافلة تميل إلى من هو أسفل وأدنى، فالطيور على أشكالها تقع، والمرء على دين خليله.

المبحث الثالث : أولاً : الشريعة والأخلاق .

يهدف الشرع إلى تحقيق مصلحة الإنسان وإسعاده في الدنيا والآخرة فمن خلال نصوصه وأحكامه وتوجيهاته يسعى لغرس الأخلاق الفاضلة وتثبيت المعاني السامية فيه . والإسلام دين شامل لجميع جوانب الحياة . فهو عقيدة وعبادة وخلق وسلوك . وحياة المسلم كلها بجميع مجالاتها يمكن أن تكون عبادة وطاعة بالقصد والنية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ

---

(١) . سنن أبي داؤود ٤/٤٣ حديث ٤٠٢٩ باب في لبس الشهرة – دار الفكر .

(٢)سنن أبي داؤود ٤/٤٤ حديث ٤٠٣١ – باب في لبس الشهرة .

(٣) الاسراء ٨٤

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

الأخلاق والسلوك تبين وتحدد علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان بل مع الحيوانات والجمادات والبيئة ونظراً لأهميتها فقد ربط الشرع بينها وبين الإيمان والعبادات والمعاملات وجعل فيها الجزاء والثواب وقد تواترت الآيات والأحاديث الدالة على هذه الصلة فأفادت علماً قطعياً بأهمية الأخلاق ومكانتها وثبت بالتواتر المعنوي . فوجود الصلة والرابط بين الأخلاق والإيمان والعبادات والمعاملات والجزاء والثواب لابد أن يكون لمقصد إرادة الشارع كذلك أوردت الشريعة من الأحكام من يحفظ الأخلاق ويصونها فدل ذلك على أنها معنىً وهدفٌ مقصود للشرع .

ثانياً: المقصد من ربط الأخلاق بالإيمان :

ربط الشارع بين الأخلاق والإيمان في كثير من النصوص الواردة في الكتاب والسنة من ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[2].

ذكرت الآية أركان الأيمان مع خصال الأخلاق الحميدة وفرائض العبادات في سياق واحد من الصفات والأفعال فدل على وجود الصلة والارتباط الوثيق بينهما وقوله

(١) الانعام ١٦٢ - ١٦٣

(٢) البقرة ١٧٧

تعالي (أولئك الذين صدقوا) يفهم منه أن من فعل هذه الأشياء يعد من الذين صدقوا الله في إيمانهم وحققوا قولهم بأفعالهم [(١)] .

وقال تعالي: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾[(٢)] ربطت الآية وبينت الصلة بين عبادة الله والإيمان به والخصال الأخلاقية الفاضلة من الإحسان إلي الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين والجار .

كذلك ورد في السنة ما يؤكد علاقة وصلة الإيمان بالأخلاق وأنها تمثل جزءاً حقيقياً من الإيمان .قال ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان [(٣)] وقال ﷺ :(الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)[(٤)] دل الحديث الأول والثاني دلالة واضحة وصريحة على ارتباط الحياء بالأيمان وانه جزءٌ من الإيمان لاينفك منه وقد وردت أيضاً أحاديث عددت الخصال الخلقّية الحميدة وربطها بالإيمان والدين من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ،ومن كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً

---

(١) تفسير القرطبي ٢٤٣/٢. دار الشعب القاهرة ط٢ ١٣٧٢ه

(٢) النساء ٣٦

(٣)شرح النووي على صحيح مسلم ٤،٥/٢ باب بيان شعب الإيمان .دار إحياء التراث العربي بيروت ط٢ ، شعب الأيمان ، أبو بكر البيهقي ٣٢/١- ٣٣ باب ذكر الحديث الذي ورد في شعب الإيمان .دار الكتب العلمية بيروت ط٢.

(٤)المعجم الأوسط للطبراني ٣٧٤/

أو ليصمت) [1] وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم (لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له) [2] فالحياء وإكرام الضيف والوفاء بالعهد وغيرها كلها خصال أخلاقية حميدة يتعلق بها كمال الإيمان فإذا انتفت انتفي كمال الإيمان، وإذا وجدت قوي بوجودها الإيمان مما يؤكد على أنها جزء لا يتجزأ من الإيمان . فالارتباط بين الأخلاق والإيمان كما دلت عليه الآيات الأحاديث يشير إلى معنى مقصود للشارع وهو بيان مكانة الأخلاق وأهميتها ووجوب الالتزام بها في كل الظروف والأحوال . ويمكن أن نستخلص من هذا الارتباط معاني وحكم مقصودة للشارع يسعي لتحقيقها من خلال هذه الصلة والارتباط تتلخص في الآتي :

١. بيان سمو الأخلاق الفاضلة وأهميتها لارتباطها بالإيمان الذي يعد أعظم شيء عند المسلم ، فارتباط الأخلاق بالأيمان يجعلها في منزلة سامية .
٢. وجوب استقرار وثبات الأخلاق نظراً لارتباطها وصلتها بالإيمان لأن الأصل فيه الثبات والاستقرار في القلب فكذلك تكون الأخلاق .
٣. ارتباط الأخلاق بالإيمان يجعلها طاعة يقصد بها وجه الله تعالى ويترتب عليها الجزاء والثواب .
٤. ارتباط الأخلاق بالإيمان يقصد به إسعاد النفس ، لأن الإيمان يورث السعادة والأخلاق جزء منه فهي مثله تمنح الإنسان السعادة إذا التزم وتحلى بها .
٥. المقصد من ربط الأخلاق بالإيمان بيان الصلة والعلاقة بينهما وأن الإيمان ليس

(١) . صحيح مسلم ٦٨/١ حديث ٤٧ باب الحث على اكرام الجار والضيف . صحيح البخاري ٢٢٤٠/٥ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره

(٢) .شعب الإيمان للبيهقي ٣٢٠/٤ حديث ٥٢٥٤٠باب الأمانة

معان نظرية مجردة ولا معارف جامدة بل لها آثار تتجلي في صفات خلقية وممارسات سلوكية ربط الأخلاق بالإيمان والعقيدة المقصد منه حفظ الأخلاق وترسيخها في الإنسان باعتبارها من الضروريات كالإيمان يسعي الشارع ويهدف لحفظها وتحقيقها .

ثالثاً : المقصد من ربط الأخلاق بالعبادات

١. العبادة والأخلاق

العبادة في اللغة من العبودية وهي الخضوع والذل .وتعني الطاعة والتذلل والاستكانة[١] وفي الاصطلاح : هي اسم جامع لكل ، ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .[٢]

العبادة في الإسلام تشمل جميع الإعمال والأقوال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله تعالي ويرتضيها سواء كانت من قبيل الفرائض والأركان كالصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج أو من قبيل السنن والمستحبات كالسنن المؤكدة والنوافل كما تشمل ما كان من قبيل الآداب أو المعاملات مع الغير فتضمن الأخلاق القلبية كالصبر والرضاء وحسن الظن والأخلاق الاجتماعية كحسن الخلق والصدق في الحديث والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلي اليتامى والمساكين والضعفاء . وفي المعاملات كأداء الحقوق وحفظ الأمانة وغير ذلك فجميع أعمال الحياة أذا قصد بها رضاء الله وثوابه ووافقت شرعه وحكمته تكون عبادة .

من خلال ما تقدم فإن الأخلاق الفاضلة تكون عبادة إذا قصد بها رضاء الله تعالى

(١)مختار الصحاح ١/ ١٧٣

(٢) .الفتاوي لابن تيمية ٥/ ١٥٥ ، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٩/٢٥٧. وزارة الأوقاف الكويت

وطاعته . كذلك تعد الأخلاق ثمرةً وأثراً من آثار هذه العبادات فهي تساعد في ضبط النوازع النفسية وتمنع تجاوزاتها السلبية فتجعل المسلم يتحلي بفضائل الأخلاق ومكارمها ، لذلك ربط الشارع بين الأخلاق والعبادات لمقصد هو أن تكون هذه الأخلاق حاضرة في حياة المسلم وثابتة ، وثبوت وحضور العبادات يتضح من خلال بيان مقصد الشرع من العبادات كالصلاة والصيام وغير ذلك.

٢. المقصد الأخلاقي في الصلاة :

يقف المسلم في الصلاة خاشعاً بين يدي ربه ذاكراً لله تعالى ، عالماً بأنه مطلع عليه ويراه فتظهر على جوارحه هيبتها فيكون على اتصال روحي بربه يمنعه ويذكره الابتعاد عن المعاصي والفواحش ويتكرر ذلك خمس مرات وأكثر في اليوم وبذلك ينتهي عن الفواحش والمنكرات ويتحلى بالأخلاق الفاضلة لاتصاله المتكرر بربه عن طريق صلاته في فرائضها ونوافلها لذلك كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر غارسة للأخلاق الفاضلة ،وقد بين القرآن هذا المقصد في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(١) .

وجاء في الحديث القدسي (إنما تقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطيل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي ، وقطع نهاره في ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ،ورحم المصاب)(٢) بين الحديث أن قبول الصلاة متصل بأعمال أخلاقية تتمثل في التواضع لله سبحانه وعدم التكبر على الخلق والعطف على المسكين والإحسان للمحتاجين، فالبعد عن المنكر والفواحش والتحلي بالأخلاق

---

(١) .العنكبوت ٤٥

(٢)مجمع الزوائد ٢/١٤٧ باب علاقة قبول الصلاة الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع دار الكتب العلمية بيروت ط١

الفاضلة معنىُ مقصودٌ للشارع من تشريع الصلاة .

٣.المقصد الأخلاقي في الصوم :

وردت كثير من النصوص الدالة على أن الهدف المقصود من تشريع الصيام هو ترويض وتطويع النفس على التحلي بالقيم الفاضلة ومنها مكارم الأخلاق . قال تعالي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[١] .

فالصيام تكون معه التقوى. والتقوى مرتبطة بالخلق متصل به كما في الحديث (أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق)[٢]فالصيام فيه تقوى الله لأنه عبادة بين العبد وربه . لذلك يورث الخلق الحسن كالصدق ومحاسن العادات قال ﷺ : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه[٣] فالحديث وضح أنه ليس المقصود من الصوم الجوع بل المقصود به الابتعاد عن فواحش الأقوال والأعمال . وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر (الصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد، أو قاتله فليقل إني صائم)[٤] فالصيام يحمي الصائم من الرفث والصخب ويعلم الصبر وضبط النفس عند الشدائد فهو مدرسة أخلاقية يتعلم منها المسلم كثيراً من الخصال الحميدة . وهذا هو المقصود من تشريعه وربط الأخلاق به .

(١) البقرة ١٨٣

(٢)صحيح ابن حبان ٢٢٤/٢ باب أكثر ما يدخل الناس الجنة . المستدرك علي الصحيين للنيسابورى ٣٦٠/٤ حديث ٧٩١٩

(٣)صحيح البخاري ٦٧٣/٢ حديث باب من لم يدع قول الزور والعمل به

(٤)صحيح مسلم ٨٠٦/٢ باب فضل الصيام . صحيح البخاري ٦٧٠/٢ باب فضل الصوم .

٤.المقصد الأخلاقي في الزكاة :

بين الشارع من خلال تشريعه للزكاة المقصد منها قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (١) وهو تطهير المسلم من الذنوب والأخلاق الرذيلة . فهي للغني تطهير من خصال الشح والبخل ورذائل الحرص والطمع ، كما أنها تغرس في النفس حب الخير وخلق الجود والكرم والشعور بحوائج الآخرين فتنمي خلق الرحمة والرأفة ، ومن جهة أخرى فيها للفقراء تطهير من الأخلاق الذميمة كالحسد والحقد فتكون المحبة للمحسنين وتؤسس لخلق الشكر والوفاء وفيها التواصل والإخاء فهي ذات آثار خلقية على مستوى الفرد والجماعة فهي تساعد في بناء الأخلاق وذلك هو المقصد من تشريعها .

٣.المقصد الأخلاقي في الحج :

وضحت النصوص الغاية والمقصد الأخلاقي في الحج قال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾(٢).

فترك الرفث والفسوق والجدل خصال أخلاقية لا بد منها في الحج كما وجهت الآية . فمن قصد بيت الله حاجاً متقرباً له لا يتصور أن يكون متلبساً بالقول والفعل المحرم والخصومة مع الناس . فمن آثار الشعائر على القلب والنفس عفة اللسان عن القول الباطل والتنزه عن الفعل الآثم والتحلي بمكارم الأخلاق قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ

---

(١) التوبة ١٠٣

(٢) البقرة ١٩٧

حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾[1] يؤكد هذه المعاني الأخلاقية قول الرسول ﷺ: (من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)[2] كذلك يعلم الحج المسلم الصبر والتحمل والتضحية من خلال السفر وترك الوطن وفراق الأهل والراحة وبذل المال والنفقة وتحمل المشاق والعنت ، فالحج عبادة ذات صلة وارتباط بالأخلاق وهي من المعاني المقصودة للشرع في الحج .

العبادات مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها تكسب المسلم الأخلاق الفاضلة لما فيها من معاني أخلاقية مقصودة للشرع من تشريعها . تعرف بالمقاصد الجزئية . وهي ما يقصده الشارع من كل حكم شرعي كالمقصد من الصلاة وغيرها .

يتلخص مقصد الشارع من ربط الأخلاق بالعبادات في الآتي :

١. جعل الأخلاق ملكة عاطفية مرتبطة بالناحية الروحية تخرج تلقائياً دون تكلف أو عناء لارتباطها بالعبادات المرتبطة بالناحية العاطفية الروحية القلبية المتعلقة بالتقوى.
٢. جعل الأخلاق متجددة ومنتظمة ودائمة كتجدد العبادات وانتظامها ودوامها .
٣. جعل الأخلاق مرتبطة بالأفراد والجماعة كارتباط العبادات بالأفراد والجماعة .
٤. ربط الشارع الأخلاق بالعبادات يوضح أهميتها ومكانتها في حياة الإنسان وأنها من المعاني المقصودة للشارع كالعبادات يسعى لتحقيقها والمحافظة عليها .

رابعاً : المقصد من ربط الأخلاق بالمعاملات :

---

(١) الحج ٣٠

(٢)صحيح مسلم ٩٨٣/٢ حديث ١٣٥٠ باب فضل الحج والعمرة صحيح البخاري ٥٥٣/٢ باب الحج المبرور

١.المعاملات والأخلاق :

الإسلام دين استوعب الحياة كلها بتشريعاته . فنظم علاقة الناس بعضهم ببعض أفراداً وجماعات ، ولما كان الإنسان لا تسعه العزلة ولا يمكن أن يحقق أمور معاشه إلا من خلال تبادل المنافع مع الآخرين وإقامة الصلات معهم . فقد وضع الشرع ضوابط تحكم أمور التعامل وبناها على أسس قائمة على الحق والعدل دونما حرج أو عنت ، لذلك فإن المعاملات ذات صلة وثيقة بالأخلاق فإقامة الصلات وتبادل المنافع مع الآخرين لابد أن يراعي فيها السلوك الحضاري الرفيع والأداب والأخلاق الكريمة والابتعاد عن كل ما يخدش الآخرين أو يسوءهم من قول أو فعل أو عمل وقد حثت الشريعة الإسلامية على حسن التعامل بين الناس في كل المجالات، قال صلي الله عليه وسلم (رحم الله عبداً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا اقتضى)[١]وقال النبي ﷺ: (ألا أخبركم بمن يحرم على النار ، تحرم النار على كل قريب هين سهل) [٢]والهين هو الإنسان السهل البسيط في معاملته ، لا يصعب الأمور ولا يعقدها فهو سهل ولين في المعاملة .

عن حذيفة (رضي الله عنه) قال (أُتي الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً ، فقال له : ماذا عملت في الدنيا . فقال الرجل : أتيتني مالاً فكنت أبايع الناس ، وكان من خلقي الجواز ، فكنت أيسر على المؤسر ، وانظر المعسر . فقال الله تعالى : أنا أحق بذلك منك تجاوزت عن عبدي) [٣] فقد كان هذا العبد طيب الخلق مع كافة الناس يصبر على

(١) صحيح البخاري ٢/ ٧٣٠ باب السهولة في السماحة في الشراء والبيع

(٢)شعب الإيمان ٤/ ٢٧٢ حديث ٨١٢٦ صحيح ابن حبان ٢/ ٢١٦، ٢١٥ . باب ذكر البيان بان المرْ إذا كان هيناً

(٣) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٣٥ حديث ٣١٩٧

المؤسر ويتجاوز عن المعسر ويسامحه ويصبر عليه فترة طويلة فالله تجاوز عنه يوم القيامة لحسن خلقه في التعامل ، واليسر وحسن الخلق من أخلاق الرسول ﷺ : جاء في الحديث (ما خيرت بين أمرين إلا اخترت أيسرهما)[1] وقد بين القران إن اليسر مطلوب وهو من حسن الخلق قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2] والفطرة تميل إلى حسن الخلق واليسر في المعاملات حتى شاع بين الناس مقولة مشهورة وهي (الدين المعاملة) لأن الدين الإسلامي يحث على ذلك فحسن الخلق في المعاملات إذا قصد به إرضاء الله والثواب والجزاء من الله يكون عبادة فلا بد أن تكون معاملاتنا قائمة على الأخلاق الفاضلة والنية الخالصة لله حتى تكون عبادة ننال بها الثواب والجزاء ورضاء الله وحب واحترام الناس في الدنيا .

تنقسم المعاملات إلى أقسام ، منها : المعاملات المالية ومعاملات الأحوال الشخصية ، والمعاملات الاجتماعية ، وكل منها ذو صلة بالأخلاق نوضحها فيما يلي :

٢.المقصد الأخلاقي في المعاملات المالية :

المتمعن في التشريع الإسلامي يجد للبعد الأخلاقي حضوراً فاعلاً من النشاط الاقتصادي والمعاملات المالية . ففي العصر الحاضر هنالك اهتمام ظاهر بالأخلاق في مجال المعاملات المالية على مستوى البنوك والشركات والأفراد وقد استحدثت مصطلحات في هذا الشأن مثل ميثاق وآداب المهنة وأخلاقيات الوظيفة والعمل وأخلاقيات الإدارة، ومن أسباب العناية بالأخلاق في مجال المعاملات لوحظ أن أكثر الشركات انهيارا التي يقل فيها الالتزام بالأخلاق لذلك سارعت وتسابقت معظم

---

(١) مسند الأمام أحمد ٦/ ورد بهذا المعني

(٢) البقرة ١٨٥

الشركات لإصدار مدونات أخلاقية خاصة بها بعد أن كانت الكفاءة هي مركز الاهتمام الوحيد والربح هو الهدف الأساسي، فقد أصبحت الأخلاق تحظي بالاهتمام وظهرت جمعيات معينة متخصصة في إصدار مواثيق تنظيمية أخلاقية وكان البعض يرى أن المعاملات في الشركات وغيرها تكفي فيها الكفاءة العلمية والعملية لتحقيق الربح المادى بينما المفهوم الصحيح يؤكد أن الأخلاق لها آثار إيجابية كثيرة على حسن الأداء الوظيفي والمهني وتحقيق الربح المادي على المدى القريب والبعيد لأن الأخلاق تكسب السمعة الحسنة لدى العملاء فيؤدي ذلك إلى نجاح وزيادة المبيعات .

كان للتشريع الإسلامي السبق والريادة في مجال أخلاقيات المعاملات ومواثيق العمل فقد ربط في أحكامه بين الأخلاق وأحكام المعاملات ، فوضع قواعد أخلاقيات التعامل والصلات في جميع المجالات المالية والشخصية وغيرها لضبط شر النفوس وطمعها وعدوانها وإفسادها ، ونصوص القران والسنة مليئة بما يدل على أخلاقيات التعامل مما يدل على أنه معنى مقصود للشارع يسعى لتحقيقه من خلال نصوصه وأحكامه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ ﴾[1] فخلق العدل مأمور به والخداع والبخس منهي عنه في كل المعاملات المالية . وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾[2] التطفيف هو البخس في

(١) البقرة ٢٨٢

(٢) المطففين ٢- ٣

المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس ، وإما بالنقصان إن قضاهم، وهو خلق ذميم ، لذلك توعد الله المطففين بالخسارة والهلاك ، والوعيد يدل على النهي والتحريم، وجاء في السنة ما يدل ويؤكد وجوب التحلي بالأخلاق الفاضلة في المعاملات قال ﷺ: (لا يبع بعضكم على بيع بعض)[1] الغاية والمقصد من النهي منع ما قد يترتب على ذلك من آثار الأحقاد والضغائن وإفساد العلاقات والصلات ،فالمقصد الأخلاقي من النهي دوام الأخوة بين الناس . كذلك نهى الرسول عن النجش[2] وهو المزايدة في سعر البضاعة بغير غرض الشراء وإنما لقصد رفع سعر السلعة . وهذا يؤدى إلى الغبن ويولد البغضاء والخصومة .

كذلك حث النبي صلى الله عليه وسلم على خلق الصدق في البيع وبين أثره المحمود وهو أنه يورث البركة وأن الكذب والتدليس يمحق البركة قال (ﷺ): (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا – أو قال حتى يتفرقا – فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وأن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)[3] فخلف الصدق والوضوح في البيع معني مقصود للشارع لما فيه من الخير والمصلحة .

٣.المقصد الأخلاقي في الأحوال الشخصية :

اهتمت الشريعة الإسلامية بالأحوال الشخصية فأوردت كثيراً من النصوص والأحكام التي تنظم العلاقات الأسرية وربطتها بالأخلاق فكانت من المعاني والمقاصد التي يهدف الشارع لتحقيقها وذلك لأهمية الأسرة ومكانتها في الإسلام ودورها في

(١)صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٢ ، باب تحريم بيع الرجل علي بيع أخيه . وباب تحريم الخطبة على خطبة أخيه

(٢)صحيح مسلم ٣/ ١١٥٤ باب تحريم بيع الرجل وتحريم النجش، صحيح البخاري ٢/ ٧٥٣ باب النجش.

(٣)صحيح البخاري ٧٣٢/٢ باب إذا بين البيعان . صحيح مسلم ١١٦٤/٣ . باب الصدق فى البيع والبيان

تربية النشء وغرس فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق فيها حتي تكون الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت الناس بإيمانها وسلوكها وأخلاقها الرفيعة. ومن النصوص التي تهدف إلى ربط العلاقات الأسرية بالأخلاق قوله تعالي: ﴿أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾[1] .

أمر الشارع بحسن الخلق في معاملة الزوجة وذلك (بألا يعبس في وجهها بغير ذنب ، وأن يكون منطلقاً في القول . لافظاً ، ولا غليظاً ، ولا مظهراً ميالا إلي غيرها)[2] ومن الأخلاق الحميدة في مجال الأسرة التي أرشد إليها الشرع التوازن في النظرة والمعادلة بالنظر إلى المحاسن وعدم التركيز والاستسلام للمساوئ قال ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)[3] فينبغي أن لا يبغضها ، لأنه إن وجد فيها خلقاً يكره وجد فيها خلقاً مرضياً ؛ وهذا قمة التربية الأخلاقية في المعاملة . ومن توجيهاته ﷺ التربوية الخلقية في مجال العلاقات الأسرية قوله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)[4] حث الحديث على التحلي بالأخلاق الفاضلة والمعاملة الكريمة مع جميع أفراد الأسرة كما هو منهج الرسول ﷺ في معاملة أهله وزوجاته، وعليه فالخلق الفاضل في التعامل الأسري معنىً مطلوباً ومقصد للشارع سعى لتحقيقه من خلال أحكامه ونصوصه التي اتفقت في الدلالة على هذا المعني .

٤.المقصد الأخلاقي في المعاملات الاجتماعية :

جعل الإسلام عموم العلاقات الاجتماعية قائمة على الأخلاق الحسنة بقصد

(١) النساء ١٩

(٢) تفسير القرطبي ٥/٩٧ دار الشعب القاهرة ط٢ ١٣٧٢ه

(٣) . صحيح مسلم ٢/١٠٩١ باب الوصية بالنساء حديث ١٤٦٩

(٤) الترغيب والترهيب عبد العظيم عبد القوي ٣/٣٢ حديث ٢٩٦٣ دار الكتب العلمية بيروت ط١

البر والتعاون على الخير والابتعاد عن الإثم والعدوان ، لأن الأخلاق الفاضلة في المعاملات تورث المحبة والاحترام والإخاء بين أفراد المجتمع قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١)وقد **جعل الإسلام دائرة العلاقات الاجتماعية شاملة لا تقف عند القرابة بل تتسع لتشمل الجميع قال تعالى:** ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾(٢) تناولت السنة العلاقات الاجتماعية كذلك ، ونادت بالأخلاق الفاضلة في التعامل حيث حثت على إعانة المسلم وتنفيس الكرب عنه ، ووعدت علي ذلك بتنفيس كرب يوم القيامة ، وستر عورة المسلم ومساعدة الناس ؛ وذلك يدل على مكانة الأخلاق في الشريعة والتشجيع عليها حيث ربطتها بالجزاء الأوفى في الآخرة بتنفيس كرب وعسر الآخر ، وهذا أكبر دافع للتحلي بالأخلاق الفاضلة مع الناس . قال ﷺ: (من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) (٣) وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلي النبي صلى الله عليه وسلم : فقال : يا رسول الله : أي الناس أحب إلى الله ؟ فقال : رسول الله

(١) المائدة ٢

(٢) النساء ٣٦

(٣)صحيح مسلم ٤/٢٠٧٤ باب فضل الاجتماع علي تلاوة القران .سنن الترمذي ٤/٣٤باب ما جاء في الستر على المسلم

(أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضيٍ عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة – شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عوراته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ، ومن مشي مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام) [(١)] فالخصال الطيبة من كرم المعاملة وكظم الغيظ وقضاء الحوائج والإحسان للضعفاء وأداء الأمانة والرحمة بكل حي ، كل هذه المعاني تعد من حسن الخلق الذي هو عماد العلاقات وأساس الصلات . وقد دلت عليه كثير من النصوص كما تقدم فكان من المعاني المقصودة للشارع والتي يسعى لتحقيقها وغرسها في المجتمع المسلم .

كما تقدم فإن الشارع ربط بين المعاملات بأنواعها المختلفة والأخلاق وذلك لمقصد وهدف يمكن تلخيصه في الآتي :-

١.إن الالتزام بالأخلاق في المعاملات يهذب النفس ويرتقي بالسلوك في التعامل ويمنع التجاوزات السلبية كالظلم والأنانية والمحسوبية والخداع وبالتالي يضبط النوازع النفسية، وذلك يورث الثقة والمحبة بين الناس والشعور بالرضا ، ويحقق الوئام والإخاء بين أفراد المجتمع، وهذه المعاني مقصودة للشارع ويسعي لتحقيقها .

٢.إن الالتزام بالأخلاق مثل الصدق والأمانة والإخلاص والوضوح في مجال المعاملات يحقق المصلحة لأنه يورث الثقة بين الأطراف ذات المصالح المشتركة

(١)صحيح ابن حبان ٢/٢٣٧ باب من حسن خلقه في الدنيا . مجمع الزوائد ٨/١٩١ باب فضل قضاء الحوائج

والمتبادلة في المعاملات المالية وغيرها ، والمصلحة من المعاني المقصودة للشارع إضافة إلى ذلك فأنه يؤدى إلى زيادة الإنتاج وتحقيق الأرباح .

٣. التحلي بالأخلاق الفاضلة في مجال العلاقات الأسرية يقوى الصلات بين أفراد الأسرة ويؤدى إلى السعادة والترابط داخل الأسرة . ويجعلها تعيش في سكينة واستقرار وذلك يساعد في حفظ النسل فيحقق المقصد والهدف من تكوين الأسرة.

خامساً : المقصد من المسؤولية والجزاء في الأخلاق :

تعتبر الأخلاق من مبادئ الإسلام الأصيلة وغاياته النبيلة ومحاسنه الجميلة فهي وطيدة الصلة بالإيمان والعبادات والمعاملات لذلك فهي مرتبطة بالمسؤولية والجزاء في الدنيا والآخرة . نوضح ذلك فيما يلي :-

١. التكليف بالأخلاق :

الأخلاق في الإسلام تكاليف ربانية كغيرها من التكاليف كالإيمان بالله والعبادات والمعاملات لما فيها من مصلحة تعد من التحسينات فهي تتوافق مع الذوق الرفيع والفطرة السليمة والعرف الصحيح ، بل إن ذلك يعد جزءاً منها ويضفي عليها جمالاً ويزيد من آثارها الايجابية فمن حيث التكليف بها تعتريها الأحكام الخمسة - الواجب ، المندوب ، المحرم ، المكروه ، المباح - لأن منها ما هو ضروري وثابت لا يخضع لتغير الأعراف و العادات ؛ لأنها مرتبطة بنوازع فطرية في الإنسان ، أو لأنها تحافظ على مبادئ وقواعد عامة لابد من مراعاتها في كل زمان ومكان ، ولا يجوز الخروج عليها كالوفاء بالعهد والصدق في القول والفعل والأمانة، ومنها ما هو دون ذلك من محاسن العادات في المعاملات مثل الذوق الرفيع في الخطاب ولطف المعاملة والبشاشة في القول، فهذا النوع بمنزلة النوافل، ويدخل فيه الذوق الشخصي

والتقاليد الاجتماعية الحسنة والنوع الأول يكون بمنزلة العبادات الواجبة. وقد جاءت النصوص آمره[1] وحاثة قال تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[2].

وقال تعالى:﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾[3]

فالآيات أمرت بالتواضع ورغبت فيه مع التعليل والتصوير وحذرت من ضده .

ومن الخصال الفاضلة الصبر فقد وردت مجموعة من الآيات آمره به وحاثة عليه ومادحة للصابرين ومبينة مكانتهم قال تعالى : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[4]

وقال تعالى: ﴿ لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[5] فهذه الآيات وغيرها تدل على أن الصبر خصلة أخلاقية مأمور بها ، وحث عليها الشارع فهي تكليف يثاب عليه ويدخل في التحسينات . وجاءت السنة النبوية حاثة وآمرة بكثير من الخصال الأخلاقية الحميدة فقد أمر الرسول ﷺ بالصدق وحث عليه وبين ثمرته وفوائده ، قال صلى الله عليه وسلم (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً ، وإياكم والكذب ،فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور ، يهدي إلى النار ، وما يزال

---

(١)ا لأمر قد يدل على الندب وقد يدل على الإباحة

(٢) لقمان ١٩

(٣) الاسراء ٣٧

(٤) النحل ١٢٦

(٥) السجدة ٢٤

الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً)[1] كذلك جاء الترغيب والحث على خلق العفو وأنه عزٌّ وليس ذلاً أو ضعفاً وأن التواضع رفعةٌ وأن الكرم والإنفاق على المحتاجين لا ينقص المال بل يزيده، وكما بيْن الرسول صلى الله عليه وسلم فوائد الأخلاق الفاضلة وأمر بها ، حذَّر من سوء الخلق وبيَّن عاقبته في قوله ﷺ: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)[2]، حذر الحديث من حرمه أذية الجار وبيَّن عواقبه . ومن الأخلاق التي حذر الشرع من خطر انعدامها وأمر بها الأمانة قال ﷺ: (إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)[3].

فالأمانة واجبة في حق كل مسلم في كل الأحوال، وهي في حق الكبراء والرؤساء وأصحاب الولايات الكبيرة أوجب وأهم ، والإخلال بها من قبلهم ولو جزئياً أفحش وأقبح وأخطر وأعظم أثراً وأكثر ضرراً لما يترتب على ذلك من فساد كبير يقود إلى الدمار والهلاك والفتن لأنهم يمثلون القدوة وينعقد عليهم أمل الأمة في النماء والازدهار . وإذا تتبعنا النصوص الواردة في الأمانة وجدناها واسعة الدلالة تشير إلى معان عديدة ، وتشتمل على قضايا مختلفة يجمعها أمران هما رعاية الحقوق وأداؤها ويندرج تحت الأمانة معان كثيرة منها الصدق والورع والقناعة والعفاف والعدل والإحسان وذكر ما وراء الموت وغيرها، وبضادها الخيانة والظلم والرشوة والمحسوبية والإهمال وغيرها . وعليه فإن الخلق الحسن تكليف مأمور به من قبل الشرع لما فيها من مصلحة تعد من التحسينات، وهي الأخذ بما يليق من محاسن

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠١٣ حديث ٢٦٠٧ باب قبح الكذب وحسن الصدق

(٢)صحيح مسلم ١/٨٦ حديث ٤٦ باب تحريم إيذاء الجار . صحيح البخاري ٥/٢٢٤٠ باب أثم من لا يأمن جاره

(٣) . صحيح البخاري ٥/٢٣٨٢ باب رفع الأمانة .١/٣٣ باب فضل العلم

العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق[1] ليكون بها كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة .

٢.الثواب والجزاء في الأخلاق :

الأخلاق تكاليف ربانية فهي كالعبادات والمعاملات تعتريها الأحكام التشريعية ويكون فيها الثواب والجزاء الأخروي والمصلحة الدنيوية ، وقد دلت النصوص علي ذلك، قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2] ذكرت الآية صفات أخلاقية مثل السخاء والجود وكظم الغيظ والتجاوز والصفح ووصفت المتصفين بها بالمتقين ، وأن الله أعد لهم جنة عرضها السماوات والأرض جزاءاً لهم نظير اتصافهم بهذه الصفات الخلقية الحميدة.

أكدت السنة وبينت الجزاء والثواب في الأخلاق الحميدة ، وأنها أكثر ما يدخل الناس الجنة فعندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: (تقوى الله وحسن الخلق)[3] وفي الترغيب في الأخلاق وبيان مكانتها وثوابها في الآخرة قال ﷺ: (إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)[4] فالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم يعني الجزاء الجزيل والمرتبة الرفيعة . وقد جعل

(١) الموافقات للشاطبي ٦/٢ . فلسفة مقاصد التشريع فى الفقه الإسلامي .د. خليفة بابكر الحسن ص٢٠. دار الفكر الخرطوم

(٢) آل عمران ١٣٣- ١٣٤

(٣)صحيح ابن حبان ٢/ ٢٢٤ أكثر ما يدخل الناس الجنة (سبق تخريجه)

(٤)كتاب الزهد لابن ابى عاصم ١٤٧/١ ، (سبق تخريجه).

الرسول ﷺ مراتب الجنة مرتبطة بالأخلاق فقال: (أنا زعيم ببيت في ريض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)[1] فالجنة بمراتبها ربطت بمكارم الأخلاق ؛ فكلما تحلى المرء بواحدة منها استحق المنزلة المعدة له في الجنة تحت رعاية أكمل الخلق خلقاً الرسول ﷺ.

٢.حكم سوء الأخلاق :

تقدم أن الأخلاق تعتريها الأحكام الشرعية الخمسة إلا أن اكثرها لا يكون الطلب فيها جازماً ، فلا يترتب عليها عقوبة ولكن يكون فيها الثواب والأجر لمن يتحلى بها ،وما كان لازماً منها لابد أن يكون مطلوبا طلباً جازماً وبالتالي يترتب علي تركه العقوبة ، ويكون من سوء الخلق مثل الظلم والأذى والتكبر كما دلت النصوص على ذلك ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[2] فقد توعد الله من أتصف بسوء الخلق مثل الظلم بالعذاب الأليم .

ومن موجبات العذاب التي تعد من سوء الخلق أذية الخلق قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾[3] وهنالك آيات كثيرة تدل أن سوء الخلق يكون سبباً لاستحقاق العذاب منها قوله تعالى:﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[4]وقد ورد في السنة أيضاً ما يوضح عاقبة سوء الخلق قال ﷺ: (ألا أخبركم بأهل النار. كل عتل جواظ

---

(١)صحيح ابن حبان ١٠/٤٧٩ باب فضل المهاجر . المستدرك على الصحيحين ٢/ ٦٩ ،٨١ صحيح على شرط مسلم

(٢) الشورى ٤٢

(٣) الاحزاب ٥٨

(٤) المدثر ٤٥- ٤٦

جواظ مستكبر)[1] والعتل[2] الجافي الشديد الخصومة في الباطل والجواظ [3] هو الجموع المنوع، وأن سوء الخلق يؤدى إلى نقصان الحسنات وزيادة السيئات ، كما دل الحديث قال صلى الله عليه وسلم (أتدرون ما المفلس) قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: (إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة . ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه ، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار [4] فسوء الخلق هو الإفلاس الحقيقي ، ولكن هذا الإفلاس يمكن تجنبه والتخلص منه بحسن الخلق.

من خلال ما تقدم يتضح أن التكليف بالأخلاق وربطها بالعقاب والثواب يساعد في اكتساب الأخلاق الحسنة والابتعاد عن الخلق السيئ ويحافظ عليها من حيث وجودها في المجتمع ويمنع زوالها. لأنها من المعاني المقصودة للشارع والتي يسعى لحفظها وغرسها في النفوس من خلال نصوصه وأحكامه التي تبني المسؤولية والجزاء فيها. فمنها ما يكون واجباً كالعدل والأمانة والصدق ومنها ما يكون محرماً كالأذى وسوء المعاملة ومنها ما يكون مندوباً كحسن الخطاب .

سادساً : حماية الأخلاق :

لما كانت الأخلاق من المعاني المقصودة للشارع فقد سعى لتحقيقها وترسيخها فأورد من النصوص والأحكام ما يحفظ الأخلاق الحسنة الفاضلة من جانب الوجود، فأورد

(١)صحيح مسلم ٤/ ٢١٩٠ حديث ٢٨٥٣ باب النار يدخلها الجبارون . صحيح البخاري ٤/ ١٨٧٠. باب عتل

(٢)انظر مختار الصحاح ١/ ١٧٣ . النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٨٠

(٣)لسان العرب ٧/ ٤٣٩ . الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٦

(٤)صحيح مسلم ٤/ ١٩٩٧ حديث ٢٥٨١ باب تحريم الظلم . سنن الترمذي ٦/ ٦١٣ حديث ٢٤١٨ باب ما جاء في شأن الحساب

من الأحكام الشرعية ما يثبت به الأخلاق ويقيم أركانها ويضمن استمرارها ووجودها ، كما لاحظنا فيما تقدم ، فربط الشارع بين الأخلاق والعقيدة والإيمان والعبادات والمعاملات وجعلها من التكاليف وربطها بالجزاء والثواب حتى يتحقق حفظها واستمرارها الذي هو مقصدٌ مطلوبٌ للشارع ، وحافظ عليها من جانب العدم ، فأورد من الأحكام ما يحميها ويدرأ عنها الاختلال، فحفاظاً للأمانة شرع الإسلام عقوبة الخيانة ، وحماية للحياء والعفة شرع الله عقوبة الزنا، وصيانة للعدل شرع الإسلام عقوبة القصاص . وحماية للأمن شرع الإسلام عقوبة لقطع الطريق أو الحرابة ، وحماية للأخلاق كلها حمى العقل بتحريم الخمر . وغير ذلك من الإحكام التي تحفظ الأخلاق لأنها من المعاني والأهداف المقصودة للشارع .

سابعاً : علاقة مقاصد الشريعة بالأخلاق :

من خلال استعراض مقاصد الشريعة ومراتبها تجد أنها تهدف إلى تحقيق مقصد عام هو إسعاد الإنسان وحفظ النظام الكوني وتعمير الأرض بكل ما يحقق الخير والكمال الإنساني، من أجل ذلك جاءت الشريعة الإسلامية بمبادئ مثل مبدأ رفع الحرج ودفع المشقة ووجوب العدل وأداء الأمانات ورعاية الحقوق والتزام الصدق والوفاء بالعهد والتشاور ومكارم الأخلاق والاعتصام بحبل الله ونحو ذلك من الأسس التي نزلت الشريعة من أجل تحقيقها .

يلاحظ أن كثيراً من المسائل التي هي من مكارم الأخلاق كالأمانة والصدق والعدل والمساواة والوفاء بالعهد تعتبر من الثوابت التي لا تخضع لتغير الأعراف والعادات لأنها مرتبطة بنوازع فطرية في الإنسان أو لأنها تحافظ على مبادئ وقواعد عامة وفضائل كبرى لابد من مراعاتها والخضوع لها في كل زمان ومكان ولا يجوز الخروج عليها لذلك يمكن عدها من الضروريات لمالها من أهمية وضرورة في حياة

الناس، وهذا القول فيه توفيق بين ما ذهب إليه الجمهور في حصر الضروريات في خمس ، وبين ما ذهب إليه العز بن عبد السلام حيث توسع في الضروريات لتشمل جميع ما أمر الله به ونهى عنه[1] وقد اتبعه ابن تيميمة حين استدرك على من سبقه في حصرهم للضروريات في خمس ، وعاب عليهم إعراضهم عما في العبادات الباطنة والظاهرة من أنواع المعارف بالله .... وأحوال القلوب وأعمالها كمحبة الله وخشيته، وإخلاص الدين له، والرجاء وغير ذلك من أنواع ما أمر به ونهى عنه حفظاً للأحوال السنية وتهذيبا للأخلاق[2]، إذا تتبعنا مكارم الأخلاق نجد أن جزءً منها يدخل في الضروريات كالأمانة والصدق والوفاء بالعهد . وقد عد بعض العلماء مكارم الأخلاق من الحاجيات ، وعرف البعض التحسينات بأنها الأخذ بمكارم الأخلاق . وعليه فإن مكارم الأخلاق منها ما لابد منه في حياة الناس ويعد من الضروريات أو شبه ضروري ، ومنها ما هو بمنزلة الحاجى ، ومنها ما هو بمنزلة التحسيني، فهي تدخل في جميع أقسام المصالح المقصودة للشارع وقد حث عليها ونادى وأمر بها وذلك لما تحققه من مصلحة للإنسان تتمثل في السماحة والارتقاء بالسلوك في التعامل ودفع ما يؤدي إلى الإخلال بالكليات . وبذلك تتضح علاقة مقاصد الشريعة بالأخلاق .

الخاتمـــة

بعد أن وضحنا معنى الأخلاق وأهميتها ومكانتها في الإسلام . وأنواعها وطرق اكتسابها ومقصد الشارع في المحافظ عليها بربطها بالإيمان والعبادات والمعاملات وجعل الجزاء والثواب فيها من أجل سعادة الإنسان في دنياه وأخراه. تخلص من ذلك إلى النتائج الآتية : -

(١)إن لكل مجتمع منظومة أخلاقية تمثله وتعبر عن القيم والمبادئ التي تميزه .

(٢) تعد الأخلاق مرجعية ثقافية للشعوب ويمكن أن تكون سنداً قانونياً تستفيد منه

(١) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ٦٠/٢

(٢)مجموعة الفتاوى لابن تيمة ٣٤/٣٢ ، مكتبة ابن تيميمة

الدول الأنظمة والقوانين .

(٣) للأخلاق دورٌ كبيرٌ في تغير الواقع الحالي إلى الأفضل إذا اهتم المسلمون – وغيرهم –باكتساب الحميد منها .

(٤) تساعد الأخلاق الحميدة في حسن الأداء الوظيفي والمهني وزيادة الإنتاج والجودة ، لذلك تسابقت كثير من الشركات لإصدار مدونات أخلاقية خاصة بها . وقد أدى سوء الأخلاق إلى وقوع كثير من الفضائح المالية والتجاوزات الإدارية في كثير من المؤسسات والشركات مما أدى إلى انهيارها .

(٥) تعتبر الأخلاق ركيزة أساسية في بناء الحضارة لما تثمره في الأفراد والمجتمع وأن انعدام الأخلاق الفاضلة أو ضعفها في أي حضارة يعتبر من أعظم أسباب سقوطها وانهيارها .

(٦) إن للأخلاق أنواع ، فمنها ما هو فطري ، ومنها ما هو مكتسب ، ويكون بعدة وسائل منها الوعظ والإرشاد والتعود والتربية والصداقة والأسوة الحسنة .

(٧) تمتاز الأخلاق في المنظور الإسلامي بالثبات والشمول .

(٨) تعد الأخلاق الفاضلة من المقاصد التي سعى الشارع لتحقيقها من خلال ربط الأخلاق بالإيمان والعبادات والمعاملات وجعل المسؤولية والجزاء فيها

(٩) الأخلاق تعتريها الأحكام الفقهية من وجوب وندب وإباحة وكراهة وتحريم .

(١٠) اهتمت كثير من الجامعات بالأخلاق وأصبحت علماً مستقلاً يدرس.